نحو بناء نموذج معرفي عربي للهُويَّة في بيئة المِنَصَّات وتحوُّلاتها السَّائلة

Towards Establishing an Arabic Knowledge Model of the Identity in the Environment of the Platforms and Its Transformations

رضا عكاشة *
profredaokasha@gmail.com

الملخص:

تتمركز الرُّؤية البحثية حول طرح نموذج معرفي لفهم وتوظيف أدوار المِنَصَّات الرَّقْميَّة لا سيما في محتواها الترفيهي البارز وتفاعلاتها الاجتماعية في زمن السيولة التي طغت في الاستخدام التكنولوجي والتوظيف الأيديولوجي والأهداف الرِّبْحيَّة على حساب المستخدمين وثقافاتهم الذَّاتيَّة.

طرح الكاتب نحو عشرين حلًّا يمكن أن يمثلوا تحوُّلًا مبتغى في المجتمع العربي؛ بحيث يمكن خلالها تقديمُ إسهامات مؤثرة تجسِّد هُوِيَّتنا الحضاريَّة من أبرزها: إنتاجُ المحتوى وصناعته وتقديمُ بدائل للتابوهات الجامدة في دنيا الترفيه وإعادة الاعتبار لمفهوم الثَّقافة مع الارتقاء بالذوق العام والخاص والانتقال من الفرد الجمعي الغوغائي إلى العقل النقديّ الوطنيّ الرَّشيد وترتيب أولويات المحتوى الرَّقْمي وزيادة الوعي بالخصوصية الحضارية للغتنا القوميَّة العربية وتوظيف أمثل لرأس المال.. كما طرحت الورقة تبني مؤسسة وسط بين الملكية الحكومية والملكية الخاصة تعالج مشاكل المحتوى الاتصالي وتؤسس لحوار عبر المِنَصَّات بين الذَّات العربيَّة والآخر خاصة الغربي.

الكلمات المفتاحية: نموذج معرفي – المِنَصَّات الرَّقْميَّة – التحولات.

* رئيس قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة مِصْرَ للعلوم والتكنولوجيا.

Abstract

This research paper's vision revolves around a model to understand and employ the roles of digital platforms, especially in their prominent entertainment content and social interactions in a time of liquidity that has dominated technological use, ideological employment, and profit goals at the expense of users and their own cultures.

The writer proposed about twenty solutions that could represent a desired transformation in Arab society. Through this, it is possible to make influential contributions that embody our cultural identity, the most prominent of which are: producing and creating content, providing alternatives to the rigid taboos in the world of entertainment, rehabilitating the concept of culture while improving public and private taste, moving from the demagogic collective individual to the rational national critical mind, prioritizing digital content, and increasing awareness of the cultural specificity of our language, arabic nationalism and optimal employment of capital. The paper also proposes building an intermediate institution between government ownership and private ownership that addresses the problems of communicative content and establishes a dialogue across platforms between the Arab self and the other, especially the Western one.

Keywords: **Digital Platforms, Knowledge Model, Transformations.**

مقدمة

بات مستقرًّا عند جُلِّ الأكاديميين والمهنيين والمستخدمين للمِنَصَّات الرَّقْميَّة أنَّ ثمةَ حاجات ملحَّة لمراجعة الفضاء الاتصالي في جوانبه البيئية والوظيفية لا سيما مع حالة السيولة[1]، التي صاحبت الاستخدامات الكَمّيَّة والكيفيَّة في المحتوى التَّرفيهي على وجه بارز.

وقد فاقم هذه الحاجة ارتباطُ أداءات المِنَصَّات بشعارات العولمة أو العلمنة الجزئية والكلية[2]، والاستخدام الطاغي للآلة التكنولوجية والتوظيف المالي والأيديولوجي .. مع تخوّف قطاعات واسعة من النُّخَب الثَّقافيَّة والعامة على الهوايات الحضاريَّة للشعوب والأمم وخصوصيَّات الدَّولة الوطنيَّة وغلبة المعايير الرِّبحية على القيم المهنية الراسخة.

ولئن طرح كثير من المؤسسات الدَّوليَّة والأفراد وسائل للتعامل مع تحوُّلات المِنَصَّات فإنَّ هذا الطرح أكثر إلحاحًا في المجتمع العربي ليس فقط بحكم خصوصيته الحضارية بل بفعل سريان المحتوى الرقمي في اتجاه واحد (من الآخر إلى الذَّات العربيَّة) وما يصاحبه من المبالغة في الاستهلاك التَّرفيهي كما في الألعاب والدراما والسُّخرية والانبهار والتَّقليد على خلفية القابلية للاستلاب كما عبَّر عن ذلك المفكر الكبير مالك بن نبي (1905 – 1973).

سوف نطرح في هذه الورقة عددًا من المقترحات التي تؤسِّس لوجود عربيّ مؤثر في الفضاء الإعلامي في أبعاده الماديَّة والمعنويَّة، تراعي الوضع الرَّاهن وتستشرف المستقبلَ الغامض خاصة في بعده الثَّقافي الذاتي.

نقطة البدء سوف تنطلق من بلورة نموذج معرفي يعكس الهُوِيَّة التَّاريخيَّة والآنية لأمة العروبة ويقود التحوُّلات الاجتماعية لبيئة الإنسان والفن والصناعة

والسياسة والأخلاق.

من معالم هذا النموذج؛ التوازن بين الطبيعة والإنسان وبين المادة والروح، ليس عندنا صراع بين علوم الفكر وعلوم الكون، ولا عراك بين الكيمياء والثقافة، ولا انفصام بين الآلة والوظيفة.. وبالتالي المحافظة على إنسانية الإنسان باحتياجاته وقوانين المادة بطبيعتها وتسخيرها لبني البشر دون طغيان.

وبالتالي التزاوج بين مكونات الإنسان المادية والعاطفية والعقلية، وبين مصالحه الخاصة ومصالح المجموع، وبين شهوات المتعة والاستهلاك وضوابط التمتع والإنفاق.. وبالتالي ليس عندنا ما يسميه بعضُ مفكري الغرب بالإنسان الاقتصادي (النَّفعي) والإنسان الجسماني (الغرائزي)، والبيولوجي (السوبرمان) أو الحضارة الاستهلاكية.. بل عندنا الإنسان المتوازن صاحب الوظيفة الإنسانية.

التقدم المادي هام ولكنه ليس مطلقًا وليس متوالية زمانية لا نهائية كما يرى (الآخر) بل يحتاج إلى "مرجعية محايدة" تحدد التقدُّم لصالح الإنسان.

من وظائف المعرفة والثقافة أن تسهم في نمذجة الاستقامة في مواجهة نمذجة الانحراف.. بالفعل الترفيه (الفاسد) صارت له نماذج ومسلمات صدَّقها بعض القائمين عليها في حين لمَّا ينجح بعضنا في بناء نماذج للترفيه صاحب الوظيفة البنائية.

نحتاج إلى رفض التحيُّز للذات أو ضد الآخر وتنمية العقليَّة النَّقديَّة القادرة على مقاومة التقليد الأعمى والمحافظة على حرية المتلقي في اختيار المحتوى.

من أخطر أركان هذا النَّموذج المعرفيّ إزالة الخصومة بين الدراما والطوبيا (كما يقال في الخطاب الفلسفي الغربي)، أي بين الدين والفن كما في الخطاب العربي. الحل العملي لهذه الخصومة سوف يترتب عليه في تصورنا انطلاق الفن

والدين معًا لبناء الإنسان ونظامه الاجتماعي وحل كثير من قضايا الإنسان والحياة.

عند بناء نموذجنا العربيّ يجب أن نعيد تفكيك المصطلحات الضاغطة علينا من الثقافة الأوربية.. هذا المعنى شدد عليه معظم الباحثين في الشأن العربي الإسلامي؛ حيث لاحظوا أنَّ أزمات المصطلح واحدة من أخطر مظاهر التشتت المعرفي في بني العروبة وأنَّ التجزئة اللامتناهية للثقافة وبيئتها خلقت كمًّا من التناقضات اللامتناهية.. كما جاهر بهذا المفكر عبد الوهاب المسيرى والدكتور مصطفى النشار والدكتور محمد جابر الأنصاري وجورج الطرابيشي وغيرهم.. وهذا واضح عند معرفة دلالات آلاف "المصطلحات" بين البيئة العربيَّة والبيئَّة الغربيَّة بدءًا من الثقافة ومسئولياتها حتى مفهوم الإنسان والدين والحياة.. ومرورًا بالفن والترفيه والغرائز.. والحرية والتطرف والزواج[3].

أعتقد أنَّ هذا النموذج المعرفيَّ لن يستقر له حال إلا إذا احتضنه وعاءٌ اجتماعيٌّ مستقر، ومن أبرز مظاهر استقراره هو بناء نموذج سياسيٍّ رشيد يستوعب تيارات المجتمع ويحسم أزمات المشروعيَّة السِّياسيَّة في الوطن العربي.. نحن بحاجة إلى توفير آليَّات لتحقيق الاعتراف الرشيد للنظام الحاكم وتجسيد عناصر الدَّمج الاجتماعي السِّياسيّ وبناء مؤسسات وهياكل للتواصل والتَّربية والشورى والإجماع وحريَّات التَّعبير والإعلام والانتخاب والمؤسسات المدنيَّة والتقاضي والحقوق والواجبات وترتيب المصالح والعدل والحاجات والرفاه والتعددية الثقافية وبروز دور النُّخب الفكريَّة في تكوينات الرأي العام.

إنتاج وصناعة محتوى المِنَصَّات وآلياتها

حان الوقت لأن ينتج العالمُ العربيُّ ما يستهلكه من فنون الترفيه، ورغم التجارب الواسعة التي خاضتها السينما العربية على وجه التحديد منذ نحو مائة سنة، بيد أن حلم الإنتاج والتصنيع العربي لمَّا يصل مداه المرغوب بعد.

التركيز على المدى القريب يبدأ بعناصر الإنتاج الفني، ثم يمتد لاحقًا إلى تصنيع الكاميرات والأستوديوهات وتكنولوجيا العالم الرقمي الافتراضي.

نحلم بتكامل الكتّاب العرب في طرح الأفكار التي تعبِّر عن البيئة العربية مع حرفية العرض وإبراز مناهج خاصة في النقد والتقييم، مع الاهتمام بالإخراج والتصوير والمعالجة وحماية المحتوى من طغيان "النجم" المدلل على حساب العناصر الجادة الأخرى!

أيضًا من المهم تقنينُ تدخل الحكومات في تصنيع الدراما بحيث لا يقع المحتوى رهنَ القيود الحكوميَّة فيضعفها ولا يقع رهن القطاع الخاص الذي يتطرف في إعمال معايير السُّوق والإثارة وتسليع المحتوى.

الاستفادة من نَفَس كلِّ دولة عربية وخبراتها في هذا المجال.. فمصر لديها رصيد واسع من التنوع في أشكال الدراما وعناصر الإنتاج.. ودول الخليج يمكن أن تسهم في الموضوعات الواقعية والدعم المالي.. والمغرب والجزائر وتونس لديهم مجالات للإبداع والمحتوى المتحاور مع ثقافة الغرب.. وهكذا.

الإنتاج التَّاريخي والدِّيني الذي يبني الهُوِيَّة ويعكس موقعية بني العروبة في سلم العطاءات الحضارية.. وقد قدمت السينما السورية والأردنية تجارب رائعة كما يمكنها الاستفادة من الإنتاج المشابه في دول "المشترك الحضاري" مثل تركيا وإيران.. ومن الأهمية أن تصنع الدِّراما العربية "حواديتها" ومناظرها

الخاصة ذات الجذور الشعبية وتمثيل الطبقة الوسطى أو الحرفيين أو المهمشين في أعمالها.. من الصعب أن ينجح أي عمل والمواطن لا يرى فيه نفسه.

المحتوى الترفيهي المنشود ينبغي أن يعمل لإعادة ولاء الجماهير للموضوعات العربية خاصة في مرحلة "ما بعد التليفزيون ودور العرض".. فالمواقع المفتوحة تذهب للمواطن عندما يريد، الأمر الذي يستدعي مجهودًا ضخمًا في الإنتاج والتحرر من سوق الإعلانات والتكسب الهابط! وقد ثبت بالتجربة عدم الاتساق بين الترفيه الأجنبي أو المعرَّب وبين النسق القيمي الثقافي في مجتمعاتنا[4].

إعادة الاعتبار إلى موضوع الثقافة

من الوقائع ذي الدِّلالة، إنتاج فيلم عام 2000 يحمل اسم "فيلم ثقافي" تدور أحداثه حول ثلاثة شباب يتصارعون على مشاهدة شرائط إباحية لعدم قدرتهم على الزواج.. أيضًا حديث البعض عن "الثقافة الجنسيَّة" للتعريف بالغريزة وتداعياتها.

في تصوري أنَّ هذا الربط في وعي البعض بين "الثقافة" كمفهوم رفيع high culture وبين الجنس كغريزة لها اعتباراتها في الذهنية العامة، فيه شيء من الامتهان للثقافة وأدواتها ووظائفها في دنيا البشر، حتى لو جاءت في معرض السُّخرية.. وأعتقد أنه من الضروري الحفاظُ على "هيبة المصطلح" وخصوصيته والابتعاد به عن التَّصرفات ذات الطابع السلبي.

في بيئة المِنَصَّة الترفيهية ينبغي الربط بين الثقافة وموضوعاتها الحقيقية وبين تجلياتها في مجتمع الترفيه والتي قد تتجسد في: لوحات الفن التشكيلي بإبداعاته، الروايات والقصص المعبر عن الناس، الكاريكاتير والصور النقدية السَّاخرة، المسرحيَّات الكوميدية والتراجيدية، الحوارات الفكريَّة والفلسفيَّة، الموسيقى

والرَّقصات المعبرة عن هُوِيَّة الشعوب، المتاحف والجداريات التراثية والمعاصرة، فضلًا عن الأعمال الدِّراميَّة المعبِّرة عن الشُّعوب وطموحاتها الحياتية.

من سلوكيات الفضح إلى ثقافة الستر

هذه واحدة من الحلول المبتغاة في دنيا الفضاء السَّائل.. لأسباب قد لا تكون مفهومة، هناك شبه إصرار على كشف العورات وإظهار حالات الانحراف السلوكي.

بناء ثقافة السَّتر يحتاج إلى جهود ضخمة في مجال الفكرة الدِّراميَّة أو محتوى الـ"تيك توك" وصناعة الحوار وتحديد وتصوير المشاهد وفلسفة العمل الفني لدى الجماهير.. بل في قواعد النقد الفني وتدريس الدراما وعناصرها المعرفيَّة.

التحوُّل إلى ثقافة السَّتر يستدعي بالضرورة مناقشة بعض السُّلوكيَّات المغلوطة كأن يقول قائل إنَّ تقاضي الموظف للرشوة، أو مشاهدة الأفلام الإباحيَّة، أو خلع الملابس الدَّاخليَّة، أو خيانة الوطن، أو ممارسة الشذوذ، أو ممارسة الغش في الحياة.. هذا من الأمور الموجودة وينبغي تناولها في العمل الدرامي.. ولكن المشكلة ليست في تناولها، بل في الإصرار على المفاضحة والتكرار والعرض الدرامي الذي تترتب عليه قناعات سلبيَّة عند الجمهور وكأنَّ هذه الفضائح هي الأساس في سلوكيَّات النَّاس، كما أنَّ السياق الذي تساقُ فيه هذه التَّصرُّفات يضعِف قدرة "المجتمع" على حماية نفسه من الانحراف ويهوِّن الخطأ عند قطاع من النَّاس، وقد يندفع البعضُ للتقليد واستحلال هذه الممارسات.

إنَّ بناء هذه الثقافة يتم باستدعاء القيم الدِّينيَّة الكامنة في النُّفوس والرؤوس، وفي نصوصنا الشَّرعيَّة عشرات الدلالات التي ترسِّخ التضييق على المجاهرة

بالسلبيات.

بدائل للتابوهات الفنيَّة ذات الطَّابع المذهبي

من الملاحظ أنَّ بعضَ القائمين على المحتوى الفني ونقَّاده ومِنَصَّات الاتصال وصنَّاعه قد وقعوا أسرى بعض "التابوهات" التي أحاطت بالإنتاج الترفيهي وغيره، سواء في قواعد الكتابة أو أهداف الفن أو في المذاهب الحاكمة للدراما وغيرها.

في البيئة الواقعية العربيَّة ينبغي أن يقدم "مجتمع التسلية" بدائل واقعية لهذه "التابوهات".. "فالفنُّ للفن" ليست مقولة مقدَّسة، بل يجبُ أن يكون الفن "للفن" وللمجتمع والناس.. والجمال ليس "لذاته" بل الجمال للذوات المبدعة للترفيه وللذوات التي تتذوق موضوعاته.. والواقعية المعبِّرة عن ضمير النَّاس والمجتمع بديلًا للواقعية المسفّة.. الترفيه ليس بالضرورة مرآة المجتمع، بل قد يكون من خيال صاحبه وأهوائه.. والرَّمزية والعبثيَّة والعدميَّة لا يجوز أن تفقِد الفنون أو الرُّسومات دلالاتها الإنسانية.. الأعمال الحاملة للأخلاقيَّات هي البديل الأوقع للذين يناهضون المذاهب الأخلاقيَّة في دنيا الموسيقى، والمسرح، والدراما، والنقوش.. ومخاطبة الشعب بما يحبُّ خير ألف مرة من مخاطبة غرائزه تحت دعوى "الجمهور عايز كده".. والإنفاق والاعتدال في المأكل والمشرب والملبس بدائل مطلوبة للسفه والشره تحت دعاوى قانون السُّوق وتسليع الفن أو أنَّ "المال خُلق ليُنفق" كما يردد بعضُ أهل الفن والمال بهدف الكسب المادي على حساب إنسانية الإنسان.

الارتقاء بالذَّوق العام والخاص

ترقية الذوق عند جمهرة المشاهدين للمِنَصَّات من أبرز بناءات النَّموذج العربي في الهُوِيَّة. تجاوز الذوق المتدني أو عدم الذوق مسئولية المثقفين والنقاد وأهل التربية والسياسة ورأس المال.. كما هو مسئولية العامة من النَّاس الذين تنعكس تصرفاتُهم على "المثقفين" والترفيه معًا.

بالمفهوم العلمي فإنَّ التذوق الرفيع سوف ينصبُّ على الفنان بجهده وجماليَّاته في الوصف والتَّفسير، ثم المتذوِّق المستجيب للمحتوى ومساحة القبح والجمال الكامنة في فعله وعواطفه تجاه العمل، ثم الناقد بما يربي في الفنان والمشاهدين من قواعد السُّلوك والجمال والدين والتأمل، ثم العمل الفني نفسه في الشكل والجوهر، في اللَّون والكلمة واللقطة المسرحيَّة وحجم المعاني بها.

بالمفهوم الواقعي فإنَّ الارتفاعَ بالذَّوق الرَّفيع يتجسَّد في جُلِّ السُّلوكيَّات الكامنة والظاهرة في الألعاب والبرامج والأفلام التي قد تبدأ بالفكرة الدِّراميَّة أو حجم العنف والإسفاف اللفظي، مرورًا بالسُّخرية من بعض الوظائف والأشخاص والمؤسسات والقيم، وانتهاء بمئات الجزئيَّات التي ينبغي أن تتحوَّل إليها الدراما لبناء الحسِّ الجميل. من جماليات الذَّوق مثلًا: الاستئذان عند الدخول على النَّاس، عدم التسمُّع والتلصص، تجنُّب إلقاء القاذورات في الشَّارع، النَّهَم في المأكل والمشرب (لاحظ حجم اللُّحوم مثلًا وشره الممثل في هضم البطة)! خفض الأصوات ومكبرات الأفراح المزعجة والمؤلمة، مراعاة الابتسامة في الوجه أو كبار السن والأطفال وعدم التدخل في الأمور الشخصية، فضلًا عن مشاهد العنف والأنانية والعري والرِّشا التي تولِّد إلْف الخطأ والتبلُّد في المشاعر.

إنَّ تعويد "الشاب" على المشاهد القبيحة سوف يستدعي في الغالب تعوُّده

على مزيد من القبح، فتكسير زجاج المرآة عند الانفعال سوف يجعل المشاهد أكثر قابلية لتكسير كل الزجاج في المشهد التالي.

إذن الترفيه الـدِّرامي يحتـاجُ إلـى إثـراء ثقافـة الجمـال عنـد العامـة، وتحقيـر سلوكيَّات الحمق مثل الانفعال وجحود الوالدين والإساءات الزوجيَّة، كما يحتاج إلى تفعيل الضابط القانوني والأخلاقي لبناء ثقافة التذوق الرفيع.

وكسند اجتماعي لهذا الحل، اعتمدت المملكة العربية السُّعوديَّة "لائحة الذوق العام" منذ أبريل 2022 (شعبان 1443هـ) من نحو 20 ذوقًا من ذلك: عدم رفع صوت الموسيقى في الشَّوارع، وإزالة مخلَّفات الحيوانات، وعدم استعمالِ مواقع كبار السِّن، ومنع الكتابة على الجدران ووسائل التنقُّل أو إشعال الحرائق في الطرق أو تخطي الطوابير أو استخدام الإضاءات المزعجة مثل الليزر أو التصوير بدون إذن أو ارتداء الملابس غير اللائقة اجتماعيًّا أو تشغيل الأصوات وقت الأذان أو البصق في الطريق.. وقد جرَّمت اللائحة المخالفين بالغرامات المتصاعدة وربما الحبس.. وهي أرضية اجتماعية للارتقاء بالذوق في أشكال الفن.

كما دعا المفكر الكبير أحمد كمال أبو المجد (1930 – 2019) منذ أبريل 2010 إلى ما أسماه "ميثاق شرف آداب استعمال المحمول" شدد فيه على مراعاة الذوق في وقت ومكان ومدة استخدام هذا "السلاح الخفيف" حتى نوعية الرنة الصاخبة في أثناء الاجتماعات.. (لاحظ مثلًا مشاهد النَّم والغمز في بعض المسلسلات عند العزاء!).

من الفرد الجمعيّ الغوغائيّ إلى العقل النَّقديّ الرَّشيد

رغم الارتباط الغالب بين الهزل أو الألعاب الافتراضيَّة بالجوانب النَّفسيَّة والمواقف العاطفيَّة، أو ما اصطُلح على تسميته بالعقل الجمعي، بيد أنَّ بيئة الاتصال الرقمي تتطلب العملَ على التحوُّل إلى العقل الرشيد في بعده الفردي أو الجمعي.

العقلانية النَّقديَّة Critical rationalism سوف ترشِّد استهلاك المِنَصَّات أو الدراما والعنف الغرائزي والتقليد الجمعي الأعمي.. لن يتعامل المنتجون مع النَّاس باعتبارهم عرائس خشبيَّة تتحرك حسب الطلب أو ما يشبه المعنى الذي يردده علماء التأثير بنظريَّة "الطلقة السحريَّة" أي متى نزل المضمون صعدت الاستجابة، بل بالقدرة على الانتقاء والرفض والمقارنة والتجريب متى أمكن هذا.. العقل الرشيد سوف يفرِّق بين الواقع والوهم وبين الافتراضي والخيالي، وبالتالي فإنَّ أفلام الأكشن والشعوذة وحفلات الزار لعلاج العقم والخيال العلمي أو اللَّهب الخارج من العيون أو المعاني السياسية المؤدلجة وغير هذا.. سوف يخضع لعدم المبالغة في تصديق ما هو وهمٌ.

الفردُ هنا سوف يسألُ نفسه: لماذا وكيف وإلى أين، وسوف يجيب بشيء من الحكمة التي قد يتجسَّد معناها فيما قاله المفكر الفيلسوف ابن رشد (520 – 595هـ) عندما وصف الحكمة بأنَّها النَّظر للأشياء كما تقتضيه طبيعة البرهان.. يعني ببساطة أنه يمكن فَهْم هذا السَّيل من الهزل واللَّعب بأنَّه تأليف وخيال وهزل ولعب..!

من المواطن العالمي الغامض إلى الدَّولة الوطنيَّة الواضحة

حكاية المواطن العالمي[5] واحدة من الإفرازات المريبة التي أصابت الفن الترفيهيَّ عبر المِنَصَّات على وجه الخصوص، وهي الامتداد لـ"العولمة" بتداعياتها الاقتصاديَّة السِّياسيَّة القاسية، و"الحداثة" بتجلياتها الفكريَّة المتفلِّتة، والتقدُّم المعلوماتي الذي وسَّع دائرة الدِّرامات والألعاب الافتراضيَّة.

التحوُّل المطلوب أنَّه مع مراعاة البعد الإنساني لأي محتوى اتصالي، فإنَّ متطلبات الدولة الوطنية[6] هي الأَوْلى بالرِّعاية عند إنتاج أو استقبال أي منتج في عالم التسلية والإمتاع. في ظني أنَّ صناعات الترفيه في ظلال الدَّولة الرَّاسخة سوف تحقق عددًا من الحلول النَّاجعة. من ذلك:

- تنمية قدرات الدَّولة في مجال صناعة تكنولوجيا الدِّراما والملاهي ودور العرض، وتوفير مليارات الدولارات التي تنفق على استيراد الآلات والموضوعات بالتبعية.
- ترسيخ معاني الانتماء والاستقلال للوطن بمكوناته الجغرافيَّة والبشريَّة، وبناء القوة النَّاعمة الحقيقيَّة بدلًا من الغاشمة القائمة على استهلاك التفاهات.

الترفيه الوطني يعيد تأكيد اللُّحمة الاجتماعية بين الشُّعوب عبر تمثيل العادات واللُّغات والسُّلوكيَّات وبناء منظومة فنيَّة قادرة على جعل الثقافة والدين والعرق ذات بريق قادر على تأكيد الحقوق والحوار الذي يؤمِّن الحد الأدنى من الهُوِيَّة الواعدة.. لاحظ مثلًا دلالات عمل فني عن النحت السيناوي أو الموبيلية الدمياطية أو اللَّهجة في الصعيد.. ولاحظ أكثر في البعد العربي عندما ننتج شعرًا يعكس مشاعر أهل الكوفة وبغداد أو رقصة تعكس أهل اليمن والخليج أو فيلمًا

يجسِّد البيت المصري أو التونسي أو التركي.. الترفيه قد يعالج الغربة التي قد تكون بين الذوات (أنا الشاب أو الفقير أو الريفي) وبين الآخر (هو المسئول أو الغني أو الحضري).. المحتوى الترفيهي يسهم في بناء مشروعيَّة النظام السِّياسيّ أو قبول الشعب له (طوعًا أو كرهًا)، عندما يرفع معالم التوجُّهات الوطنيَّة ويكسر عزلة الشَّعب عن النِّظام، ويبني ثقافة التضافر وكذا المشاركة الديمقراطية في انتخاب المسئولين بحرية أي بالفعل الاتصالي الذي يؤسس للمشروعية ويحميه من السقوط.

كما أنَّ فنون الإبداع ترفع موقعية (النُّخب) في الدَّولة أو النزول إلى روح الشُّعوب في ظلِّ المرض المزمن الذي يجعل كثيرًا من المثقفين في برج بعيد عن النَّاس.. فالشاعر في قصيدته والرسام بلوحته والمؤلف بروايته والممثل بمسئوليته.. سوف يندمج في الدَّولة الوطنية وتندمج فيه.

المسئوليات الاجتماعية لـ"نجم" المِنَصَّة

أضحى بعض صنَّاع الفيديوهات والتأثير من "نجوم" المجتمع ومشاهيره.. وقد يكون هذا متوقعًا، ولكن أين دور هؤلاء في خدمة بني الإنسان؟ قد يحضرون أمام أعين النَّاس عند الحديث عن الـ"نيولوك" أو الطلاق والفضائح ويغيبون عندما يحتاج الغلابة إلى من يوفِّر لهم النَّصيحة أو كسرة من الخبز.. لماذا لا يسطعُ خير "النجوم" على المجتمع الذي صنعهم؟!

أحلم أن يتبنى أهلُ الفضاء الإعلامي الجديد عددًا من المشاريع لبناء المدارس أو دعم اليتامى والمساجين ورعاية المرضى والفقراء.. قد يتم اقتطاع ضريبة "الخير" من المنبع، وقد تمارسها النقابات المهنية، وقد يُسن لها قانونٌ خاص، المهم أن ينتفعَ النُّاس ببعض ثمرة هذه النجومية.. وحتى لا تقتصر

الصُّورة الذهنيَّة عن اللاعبين أو الممثلين أو اليوتيوبرز أنهم يتقاضون الملايين فقط أو أن أحدهم يصور فقط بجوار السيارات بالملايين أمام أعين بعض من لا يمتلك الملاليم!

إنَّ حضور مثل هذا الدور المسئول، يحمي الوسط الإلكتروني من صورته السلبية، ويساعد في إنتاج أعمال ترفيهية لها دورُها البنَّاء في هُوِيَّة الفرد والجماعة والدَّولة، كما يوفِّر قدرًا من المصداقيَّة للفن كلِّه حتى لا يغلق المواطن الشاشة ولسان حاله يقول: تمثلون علينا دور العدل والخير وأنتم (...)!

نحو ترتيب واقعي لموضوعات الترفيه مع أولويات الإنسان

واحدة من أكثر متطلبات أشكال التَّسلية التي تحتاج إلى تحوُّلات جذريَّة هي عملية التوافق بين قضايا المسلسلات والأفلام تحديدًا واحتياجات الإنسان.

حلل العلماءُ احتياجات الإنسان ذات الطابع النفسيّ والبدنيّ والاجتماعيّ والوطنيّ والأخلاقيّ والفرديّ والمؤسسيّ والعالمي، وعبَّروا عنها بعشرات المسمَّيات مثل الغرائز والقيم والضرورات والاحتياجات والأنشطة والاستمالات.. كما جسَّدوها فيما يفوق المائتي حاجة مثل: الأمان واللعب والأمومة والطعام والتقليد والحب والمعرفة والجنس والإنجاب والصحة والتعاون والمسكن والسفر والزواج والوالدية والعدل والضحك والكفاح والمسكن والمشرب وحماية الوطن والذات والتعلُّم والقوة والراحة.. أو كما أجملها الفكرُ الإسلاميُّ في الكليات الخمس (أي الضرورات الأساسيَّة الكلية) وهي: المال والعقل والدين والعرض والبدن.

في السياق ذاته يلاحظ تركيز الدِّراما على عدد من الاحتياجات وتجاهل الأخرى، ولئن لاحظ البعض أنَّ الحب والجنس قد يمثلان مثلًا 30% من محور

الأفلام والمسلسلات فقد لا يمثلان في الإنسان ثلثًا في المائة في واقع البشر، فهل نحلم بأن يجد الإنسان قضاياه على الشاشات بقدر ما تمثله من احتياجات فعلية في الواقع؟!

إبعاد السينما وتداعياتها عن قضايا الدين وحساسياته

أؤمن أنَّ هذا التحوُّلَ الذي أنشده هو من أصعب التحوُّلات التي يمكن تطبيقُها في مجتمع الترفيه؛ لأن طبيعة الفن ومن قبل ومن بعد طبيعة الدين تتجاوران بشدة من حيث إنَّ هدف الدين في الأساس هو صناعة الإنسان وإبداعاته الجوانية في الحياة وربط الصلة بين الروح والمادة وتنفيذ الإلهام الإلهي في دنيا الناس.. وتقريبًا هي نفس المساحة التي يتحرك فيها الفن في الحياة والإنسان والثقافة الجوَّانية حتى قيل إنَّ الفن ابن الدين.

ومع هذا أؤمن أنَّ إبعاد الأفلام والمسلسلات عن الموضوعات الدِّينيَّة هو من أهمِّ التحوُّلات التي يجب أن تكونَ في دنيا الدراما.. في بعض التجاذبات الحادة يقف بعضُ الممثلين أو النُّقاد ويقول: ابعدوا أهل الدين عن الفن.. وقد يكون هذا صحيحًا ولكن الأصح أيضا هو أن نبعد أهل الأفلام والمسلسلات عن الدين وقضاياه.

هذا الإبعاد المنشود سوف تتولَّد عنه فوائد.. من ذلك:

– إزالة الحساسية الكامنة والظاهرة بين فنون الترفيه ومجمل الراغبين في التدين.

– تجنيب الدين وهو أقدس ما لدى الإنسان بعضَ شطحات الفن وأهواء صانعيه.

– حماية المجتمع من المعارك الوهمية عندما يصطدم الفن وإبداعاته بمسلمات

المؤمن العقدية، (وقد رأينا عشرات الأعمال التي تصادمت مع الناس).

– تقوية كلِّ أطراف هذه المعارك.. وإلا ماذا يستفيد أي طرف عندما تصبح قضايا مثل الوحي أو النبوة أو الحساب والغيبيات وثوابت الشريعة ورواة الحديث والصحابة وسلوك الحجاب والعفة والجهاد ووضعية المرأة في مهب التناول الترفيهي غير الملتزم.. إنَّه يفتحُ بابَ الشِّقاق الثقافي كما يفتح البابَ لبعض خصوم هذا المجتمع لإضعافه من الخارج والدَّاخل ليغمز في تراثنا ويلمز في واقعنا بأدوات الترفيه الفائض!

– الحفاظ على هيبة مؤسسات الدولة وفي سياقها المؤسسات الدينية.

– محاولة تحرير مساحات التلامس والتضاد بين الخطاب الدعوي مع الخطاب الفني وكذا الخطاب السياسي عن محتوى المِنَصَّات وفي سياقه الدرامي على وجه الخصوص.

الوعي بالخصوصيَّة الحضاريَّة للغتنا العربيَّة القوميَّة

مع زيادة استهلاك المسلسلات وألعاب الكارتون المدبلجة والأجنبيَّة زاد الخطر على لغتنا القومية العربية؛ لغة علم وعقيدة وفن وسياسة وحضارة وكياسة.. وهي لغة بالتعبير السياسي لغة قوميَّة، فهي واحدة من نحو عشر لُغات عالمية أي يتحدث بها أكثر من مائة مليون كما حددت الأمم المتحدة؛ حيث يتحدث بالعربية نحو 450 مليون عربي، وأكثر من مليار مسلم آخر يعتبرونها لسان العقيدة، وهناك نحو 600 مليون مسلم يعتبرهم المؤرخ الكبير جمال حمدان (1928 – 1993) ظل العرب مثلما هو الشَّأن في دول مثل إيران والسنغال وباكستان وتركيا وأفغانستان وغيرها. ومما زاد الخطر أنَّ البيئة الرَّقْميَّة قد نشرت سماع المحتوى الصوتي وتأثيرات الصورة لا سيما عند الأطفال والمراهقين

والشرائح الأقل تعلمًا[7].

المحتويات الترفيهية ينبغي أن ترفع الوعيَ باللِّسان العربي المبين عن طريق:

– الإقلال من اللَّهجات العاميَّة وتقديم العبارات البسيطة المعبرة عن المعاني.

– تجنُّب الدراما للصورة الهزْليةِ أحيانًا لمدرس العربية أو الذين يتحدثون العربية بتكلُّفٍ وكأن اللُّغة السَّليمة تستخدم للتعالي أو للحديث غير المفهوم.

– التحذير مما يسميه بعضُ الشباب "فرانكو أرب" أي كلمات عربية تكتب بالحرف الإنجليزي، وهو من أخطر السُّلوكيَّات المعيبة تربويًّا؛ لأنها ليست عربية نطقًا وحرفًا ولا هي إنجليزية نطقًا وحرفًا، ومعروف أنَّ الاستعمار بدأ في تغييبه للعربية بتغيير الحرف العربي إلى الإنجليزية كما حدث في لغات باكستان أو تركيا أو الأمهرية في إفريقيا وغيرها.

– الابتعاد عن الكلمات المبتذلة السُّوقيَّة التي ترتبط بالسُّباب والبلطجة والتَّسلية.

– الاستغناء عن الكم الكبير من المفردات الأجنبية التي تتردد على لسان بعض مستخدمي المِنَصَّات باستعلاء يوحي بأنَّ ترديد الأجنبيات كأنه من مظاهر الثقافة الأعلى، وهو تصرف ضد الخصوصية الاجتماعية للمتلقي، وقد رصد أحد الباحثين في دراسة استكشافية على بعض حلقات مسلسل يحمل اسم "العمة نور" أنَّ الممثلة نبيلة عبيد تردد بتقعر نحو 97 كلمة إنجليزية في الحلقة الواحدة، وهي سذاجة فنية تعكس غربة العمل الفني عن ثقافة المشاهد.

ولعل من أخطر أدوار الترفيه ومِنَصَّاته في زيادة الوعي اللُّغوي هو ضبط استخدام المصطلحات التي تتناثر بها مئات العبارات ذات المعنى السيئ أخلاقيًّا وسلوكيًّا... فقد تترادف "العلاقة الحميمة" مع الزنا أو الصديق مع الرفيق الجنسي

أو "المسلم" مع الإرهابي... وسوف أتوقف عند واحد من المصطلحات التي ترددها البيئة الإلكترونية وأقصد "المثلية".

في ظل هوجة الترويج الدرّامي للشذوذ الجنسي تسَّرب إلينا مصطلح "المثلية" كأنَّه استجابة لُغوية لحالة السيلان الجنسي في الأفلام والمسلسلات كما ظهر في مِنَصَّات العرض المفتوحة ومن أشهرها Netfilx الأمريكية وغيرها.

"المثلية" ترادف كلمة Homosexuality بالإنجليزية، وهي تعني في الأساس الانجذاب وممارسة الجنس مع جنسه يعني الذكر مع الذكر والأنثى مع الأنثى، وبالتالي "الزواج" من الجنس نفسه! وهذا العبث ليس "مثليَّة" على الإطلاق، والاستخدام اللُّغوي له هو تمهيد لحالة التدليس الذي يتبعه.. التسمية الواقعية لهذه الممارسة هي الشذوذ أي اللواط أي السحاق أو الزنا أي الوقوع في الحرام في كل الأديان والوقوع في الجريمة التي يعاقب القانون في معظم دول العالم مرتكبها بالغرامة أو الحبس... إذن فترديد هذا "المصطلح" هي محاولة لتخفيف دلالة الكلمة (الزنا والشذوذ) عند النَّاس وبالتالي تبرير الدراما لتداعيات هذه الممارسة المريضة (حتى وقت قريب كانت جمعيات الأمراض النَّفسية والاجتماعية تصنف الشذوذ باعتباره مرضًا بيولوجيًّا ونفسيًّا يعالج صاحبه..).

وما أنبه إليه أيضا أنَّ المثليَّة تدحرجت منذ 1992 كامتداد لتسريب مصطلح الجندر gender الذي فتح خطر التساوي العضوي البدني بين الذكر والأنثى (وليس التساوي في الحقوق والواجبات) وهذا الخلط تولَّد عنه سلوكيَّات مريبة مثل حرية الجسد وحرية الشذوذ والعري أو الزواج من أي جنس وحرية الإجهاض وتأجير النساء للدعارة.

وللتدليل على اقتران الخطر الأخلاقيّ باللُّغوي أشير إلى أمرين: الأول أن

شركة إنتاج ألعاب الأطفال الشهيرة "والت ديزني" قررت منذ مارس الماضي تضمين منتجاتها معلومات عن الشذوذ الجنسي، الثاني المعركة التي تدور رحاها في أمريكا (2022) بعد الحكم بإلغاء إجهاض المرأة دستوريًا وبالتالي سوف تحظر الولايات المتحدة الإجهاض قانونًا.

وبعيدًا عن أنَّ الحظر عمل دستوري وأخلاقي بدوافع مسيحية كاثوليكية محافظة، فما يعنيني أنَّ كثيرًا من آلام البشر قد تبدأ بمصطلح عبر المِنَصَّات!

من المصادرة والإغلاق إلى التَّربية والأخلاق

قد تكون مصادرةُ بعض المشاهد أو مقاطع الفيديو هي الحلول المعروضة على المدى القريب العاجل، ولكن الحلَّ على المدى البعيد الآجل هو بناء الإنسان القادر بقيمه الذَّاتية على إغلاق الشَّاشة أو نقد المناظر الهابطة أو الدفاع عن ثقافة المجتمع وهُوِيَّته الأخلاقيَّة. البناء التَّربويّ المنشود يستدعي بالضرورة توافق مؤسسات المجتمع على أولويات النَّاس وتجاوز هذا الانفصام الحادث بين جُل وسائل التَّربية في بيئتنا العربيَّة حتى بدا الأمر وكأنَّ ما يفعله التَّعليم يهدمه الشارع أو ما يبنيه المسجد يهدمه الفيلم أو ما يطبقه القانون تضيعه وسائل الإعلام أو ما يغرسه البيت تقلعه حجرات الدردشات والألعاب الافتراضية أو التيك توك.

التَّعاون الأمميّ العربي لتطبيق مبادئ القانون الدَّولي الأخلاقيّ

ترشيد فنون الأداءات الرَّقْميَّة لا يمكن أن يتمَّ بعيدًا عن المؤسسات ذات الطَّابع الدّولي، وبالتالي فإنَّ أي تحوُّلٍ وظيفي للألعاب والدراما في المجتمع العربي لا بد أن يصاحبه مساندةٌ من المجتمع الأممي، والمعروف أن كثيرًا من الدول تعتبر القانون الدولي جزءًا من القانون المحلي يمكن تطبيقه في ضوء مبدأ

واحدية monism النظام القانوني.

في تصوري أنَّ التطبيق يمكن أن يتمَّ من خلال عدة اعتبارات:

الأول: استخدام النُّصوص الأممية والوطنيَّة الضابطة لمظاهر التَّرفيه السَّائل أو العنصريَّة ضد الدين أو اللون أو العرق أو التمييز أو الاغتصاب والاتجار بالطفولة والاستغلال الجنسي، كما نصَّت على هذا مواثيق الأمم المتحدة ومعاهدة حقوق الإنسان.

الثاني: الاستفادة من الهيئات العاملة في حقل الثَّقافة والتعليم والأمومة والطفولة مثل منظمة اليونسكو UNESCO واليونيسيف UNICEF لضبط الترفيه المقترن بالمرأة والعادات والآثار والطفولة، وكذا الاقتراب من المؤسسات ذات الطابع الأهلي العالمي مثل جمعيات نقاد السينما والمهرجانات والإنتاج الترفيهي مثل تايم وارنر ومجموعة فوكس ووالت ديزني وسوني وتبنست.

الثالث: الاستعانة بالبعد الدَّولي للمؤسسات الدِّينيَّة في الوطن العربي عبر مشاركتها في فاعليات الأمم المتحدة واستصدار القوانين الأخلاقيَّة، مثل مؤسسة الأزهر ورابطة العالم الإسلامي ومنظمة التعاون الإسلامي وكذا المؤسسات الكنسية خاصة مجلس الكنائس العالمي وتفعيل فكرة الحوار الإسلامي المسيحي الذي بدأ بشكل مؤسسي منذ 1984 لحماية أخلاقيَّات الإنسان وروحانياته.

الرابع: الدفع بالهيئات والقوانين الإنسانيَّة لإحداث التوازن في الإنتاج الترفيهي بين الدول وفك الاحتكار الحاصل من دول الغرب، وكما قررت اليونسكو منذ 1981 أنَّ الاتصال "في اتجاه واحد" من الغرب إلى الشرق فإنَّ فضاء المِنَصَّات هو الآخر من الغرب إلى الشرق وفي قلبه العالم العربي.

توظيف أمثل لرأس المال البشريّ

العناصر المشاركة في صناعة التَّسلية يجعلها قوةً طاغية في حياة الشعوب، سواء للقائمين على الإنتاج أو مليارات البشر من جمهور الترفيه. التوظيف الأمثل لا يجعلُ إيرادات شباك التذاكر أو تسليع الفن الهابط هو الهدف بل الهدف الأكبر هو تعظيم طاقات الإنسان الاجتماعيَّة. رأس المال البشري Human capital يحوِّل المحتوى إلى صناعة الكفاءات والمواهب والخبرات والإبداع وشفافية المعارف والقيم الأخلاقيَّة بل والعواطف والتماسك الاجتماعي ومستوى التعليم والصحة والذكاء.. الفن يتعامل مع الإنسان بتكويناته النَّفسيَّة والثقافيَّة والبيولوجيَّة والسلوكيَّة ليصبح أهم من الأصول المادية مثل الفلوس والأرض أو مواد الطاقة.

نحو مؤسسة وسط بين الملْكية الحكوميَّة والخاصة (مِنَصَّات الخير)

خصوصيتنا العربيَّة يمكن أن تقدِّم للإنسانية نموذجًا فريدًا في مجال تمويل الأعمال الاتصاليَّة أو التَّرفيهيَّة يقوم على استدعاء فكرة "الوقف الخيري" في الواقع الاجتماعي وبالتالي حدوث تحوُّل واضح في الوظيفة والدور وإحداث التوازن المطلوب بين الماديات والروحانيات وترشيد جوانب الإنفاق. هذا النَّموذج سوف يتفادى سلبيات رأس المال الحكومي في الفن عندما يوظِّفه سياسيًّا أو أيديولوجيًّا أو يقتل الإبداع، ويتفادى سلبيات رأس المال الخاص عندما يتهرب من المسئولية الاجتماعية ويقع صرعى إيرادات الشباك وأهواء المشاهدين. هذه المؤسسة الوسط في تصورنا تقوم على عدد من الملامح شديدة الارتباط بهُوِيَّتنا الحضارية.. يمكن الإشارة لبعض هذه الملامح على هذا النحو:

1- مؤسسة فريدة وجديدة في نمط الملكية.. فنظام التمويل عبر "الوقف" ليس

هو نمط الملكية الفرديَّة لأنَّ الأموال خرجت من ملكية الواقف بمجرد حبس الموقوف على الخير.. ولم تدخل في ملك الفرد الموقوف عليه لأنَّه مجرد منتفع. وليس هو نمط الملكية الحكومي لأنَّ الحكومة لم تكن تملكه وبعد التبرع به من الواقف صارت مجرد راعٍ لهذا المال باعتباره صار مالًا عامًّا، وهكذا صار وسطًا، الأفراد لهم فيه علاقة لأنهم تبرعوا، ولهم فيه علاقة لأنهم سينتفعون به، والحكومة لها فيه علاقة لأنها ضامنة للمال الذي صار عاما وضامنة لقواعد تنفيذ وصية المتبرع الذي حدد بالقانون أوجه صرف هذه الأموال حتى قال العلماء "شرط الواقف كشرط الشارع"... وهكذا تتوازن جُلُّ عناصر هذه "المؤسسة الاتصالية" المقترحة من ناحية أنَّ الكسب المادي ليس هدفًا في ذاته وإن تحقق فيجبُ أن يكون في ضوء المصلحة العامة ووقف المتبرع وقانون الاستثمار الخيري.

2- المساهمات سوف تُفتح أمام "الأمة" بأسرها، فهذا العمل مخاطب به الفقير والملياردير كلٌّ حسب سعته، ومخاطب به المسلم وغير المسلم فقد حسم العلماء -كما ثبت في الواقع- جواز وقف غير المسلم على التبرع لأوجه الخير وجواز وقف المسلم للتبرع للكنائس[8]. في حجج الأوقاف المصرية والتركية شواهد عديدة على هذا، كما أنَّ توزيع المساهمات؛ أي الصكوك الاستثمارية يتم حسابها حسب جهد المتبرع، فهذا يملك صكًّا لأنَّه تبرَّع بالمال وآخر لأنَّه وقف جهده في التأليف أو المشورة الفنية.. وهكذا.

3- تنظيم قضايا الخير الدِّرامي في شكل أعمال ترفيهية تصب لبناء المجتمعات وعلى رأسها محاربة الجريمة والعنصرية والاحتقان وبناء احتياجات المجتمع من المأكل والملبس والتطبب وخدمة التعليم واليتامى والمعاقين والشرائح المهمشة والحوار البنَّاء مع النخب والمخالفين.

تحريك المخزون الاستراتيجي الخيري في الإنسان عملية هامَّة لأنها تعبِّر عن نوازع الخير فيه كما تجسِّم الدَّعوة إلى مطلق الخير ومطلق الإنفاق. في القرآن الكريم ورد الأمر بالخير مع الأمر بالإنفاق في نحو 219 مرة. وفي الخبرة التاريخية ساهم الوقف في تلبية متطلبات الحياة بدءًا من "وقف الحليب" حين يتبرع البعض بالصرف على السيدات اللاتي يتفرغن لإرضاع الأطفال الذين يفتقدون الحليب أو المرضعات، وانتهاء بإنشاء المدارس والمستشفيات وحتى السكك الحديدية؛ إذ ثبت أنَّ طريق اسطنبول إلى المدينة المنورة ساهم الوقف الخيري في نحو 23% من تكلفته، ومرورًا بما أسماه الدكتور محمد عمارة "توبة الدولة"؛ حيث إن بعض الحكام الذين مارسوا الظلم كانوا يتنافسون على إعادة الثروات المغتصبة إلى حضن العمل الخيري العام.

في السِّياق ذاته فإنَّ تنظيم الخير توسَّع فيه العمل الإنساني في دول الغرب المعاصرة تحت مسمى thetrust foundantion وفي فرنسا تحت اسم "الهبة المتنقلة" كما تعددت تجاربُ المؤسسات اللاربحية اللاحكومية بشكل يؤكد مبدأ الخير الإنساني.

4- بناء مؤسسات فرعية تخدم مراحل إنتاج موضوعات التَّسلية عبر الكليات والمعاهد الفنيَّة وتربية الكوادر البشريَّة الوطنيَّة وبناء قاعدة معرفية لاحتياجات المشاهد الحقيقيَّة وتعديل الطلب الجماهيري وتحقيق أكبر قدر من الاستقلال المادي والإنصاف في الإنتاج للأدباء والممثلين والمنتجين ودمج الشعب خاصة النُّخب الفنية ورجال الأعمال في رعاية المحتويات التي تحافظ على الشَّخصية العربيَّة بعيدًا عن تحيُّز عناصر الإنتاج أو رؤيتها الطبقيَّة أحيانًا.

الحوار الفضائيّ الإنسانيّ عن الذَّات ومع الآخر

الوجود العربي المنشود على مِنَصَّات الإعلام الرَّقْمي تتجسد أبرز غاياته في بناء حوار حضاري إنساني عن الذَّات وهمومه والآخر واهتماماته.

الخبرة المتراكمة في تاريخ الاتصال أثبتت أنَّ فضيلة الحوار الاتصالي داخل النَّسيج الوطنيّ العربيّ غائبة وأنَّ فريضة محاججة الآخر المغاير خاصة الغربي غائبة.

كما أثبتت أنَّ التَّقاطع وسوء الظن غالبًا ما تم تأسيسه على مسائل تتعلَّق بالسُّلوكيَّات الشَّخصيَّة والعادات الاجتماعيَّة والقوانين والثَّقافة الجوانية، وهي المادة الخام لمجمع صناعات المِنَصَّات الرَّقْميَّة في الوقت الحالي.

في هذا السياق عوَّل عدد من المفكرين[9] على الفضاء الإعلاميّ الرَّاسخ والرَّقْمي الجديد في أن يسهم في تقديم عدد من التحوُّلات والحلول... قد تتمحور في:

الأول: تثقيف الذَّات والآخر بأنَّ الحوار في المشترك الإنساني هو الحل لكل مظاهر التباينات الحادة بين الذوات وبين المغايرين، مع الحفاظ على الذَّاتية الثَّقافيَّة للأمم والشُّعوب.

الثَّاني: التَّجاوز عن مسببات الاحتقان التَّاريخيَّة ذات الدَّوافع الاستعمارية... مع ضرورة الفصل قدر الإمكان بين ما يفعله صُنَّاع القرار السِّياسيّ والفكريّ ومصائر الشُّعوب، وأيضًا الفصل قدر الإمكان بين مظاهر التقدُّم الصناعيّ الماديّ ومظاهر السُّلوك والثقافات، فالتأخُّر في إنتاج مواد البناء والتصنيع لا يعني بالضرورة التأخر في آليات صناعة الإنسان وأفكاره.

الثالث: إنتاج عربي ينقل عادات الشُّعوب العربيَّة المسلمة ويكشف مئات السَّلبيَّات في سلوكيَّات الغرب. على الدراما إذن أن تنتقل من جَلد الذات أو استعداء الآخر إلى الحوار الإنساني مع الـ"أنا" والـ"نحن" الوطني والعربي ومع الـ"هو" الأجنبي المدجج بالسلاح والترفيه معًا.

نقطة البدء أن تعكس المحتويات الفنية صورًا متوازنة عن التاريخ والواقع والمستقبل في جميع أبعاده. الذات العربية ترى نفسها في الإنتاج الذاتي عن طريق: رصد التطور في العمران والصِّناعة والقدرات الماديَّة والبشريَّة، التماسك الاجتماعي من خلال بِر الوالدين وتماسك الأسر وعطف الزوج وحنو الزوجة وذوي الأرحام، النماذج العلمية عبر التاريخ الطويل مثل سير الخوارزمي وجابر بن حيان وابن سينا والفراهيدي والحسن بن الهيثم.. وغيرهم. وحتى أحمد زويل ومصطفى السيد ومجدي يعقوب في الوقت المعاصر... عرض إسهامات العرب في الفنون والأدب وكذا نماذج من عدل الحكام ونزاهة القضاء وتفاني العلماء وإبداعات الشُّعراء، فضلًا عن حسن التعامل مع المخالف في العقيدة وبقاء هذا الكم من الأقليَّات غير المسلمة في حضن الدول المسلمة بل واحتضان الذين اضطهدهم الغرب كما حدث مع اليهود عندما استقبلتهم المغرب وتركيا والبوسنة والهرسك. الدراما تقدم العادات والتقاليد والجبال والطبيعة الجغرافية والبشريَّة دون مبالغة أو تهوين، كما تعكس وضعيَّة المرأة ودورها في العمل والعلم والصِّناعة والتَّربية والجهاد وفي ترشيد غرائز الجنس الذي يريد الآخر ممارسته كسلوك الحيوانات. حتى الوقائع التَّاريخية والشورى السِّياسيَّة وحقوق الإنسان أو حمايته للعقل والعلم والبدن والمال والعرض والنفس والدين. وفتوحات المسلمين للقدس وفارس والأندلس. جميعها تصلح لأن تكون مادة للحوار الدرامي بهدف بناء الإحساس للذات العربية وتجاوز حالات الاحتقان وربما التصغير لعطائنا شديد

التميز.

الرابع: امتدادًا لهذا، على الدِّراما العربيَّة أن تفتح حوارًا إنسانيًّا مع الغرب وصُنَّاع الثقافة والفن فيه بهدف كسر حدة القساوة في جُلِّ فنون الاتصال وكشف تحيُّزات الغرب أمام نفسه. الفن هنا يسهم في الحوار مع الشُّعوب ومع النُّخب الثَّقافيَّة والدِّينيَّة من المستشرقين الجدد وتفكيك حالة الاستعلاء عند معظم الخطاب الدرامي في أمريكا وأوروبا خاصة في زمن مقولات الصِّراع الحضاري والأرهبة والإسلاموفوبيا. في يقيني أنَّ الآخر يحتاجُ لأعمال فنية تكشف حقيقة دور أوروبا في تأسيس تيارات التعصُّب ودمارات الحروب والنووي وفي إضعاف العالم الثالث والاتجار في العبيد والجنس ودفن النفايات الذَّرية في صحارينا وإبادة الزنوج أو العرب في فلسطين الحبيبة.

نحلم بإنتاج فني يكشف أسباب الهجرة إلى أوروبا ومَن الذي نهب ثروات إفريقيا وماذا هم فاعلون بالأقليات الدِّينية عندهم وكيف يستغلون الأقليَّات عندنا، وماذا هم فاعلون في الحروب المذهبية والعرقيّة التي أشعلت النفوس ولعل أبرزها حرب الثلاثين عامًا بين البروتستانت والكاثوليك في أوروبا (1618 – 1648).

نتمنى إنتاجًا يكشف الاعتداءات ضد الثَّقافة العربيَّة المسلمة كما حدث في حادث نيوزيلاندا عندما قتل إرهابي أسترالي في 15 مارس 2019 نحو 51 داخل مسجدين وأصاب نحو 45 مصليًا، وكما حدث مع رسومات التَّحرُّش المسيئة في الدنمارك بدءًا من 2005 وحتى 2022 في فرنسا والسويد وغيرها، وكما يحدث في الاعتداءات على الحجاب والأذان وزي المصايف المحتشم، وما فعله القس الموتور في أمريكا وتلاميذه الذين دعوا لإحراق المصحف الشريف وإن شئت الدقة فقل إحراق الضمير تحت سمع وبصر أهل البصر من مثقفي الآخر!

هذا الذي نطرحه في سياق الحوار الحضاري وبناء صورة متسامحة عن الذات ومع الآخر وصولًا للتعايش الاجتماعي والتعدد الثقافي والسلوكي.

الحوار الدرامي قد يفتح الباب لزيادة الاعتزاز بالذات وقبول الاختلاف القدري وتنفيس بعض مسببات الاحتقان التي صنعها بنو البشر.

هوامش البحث ومراجعه

(1) السيولة حالة تعددت امتداداتها كما وصَّفها الكاتب الاجتماعي زيجمونت باومان (1925 – 2017) في عدة مؤلفات حملت عناوين "الثقافة السَّائلة" و"الحياة السَّائلة" و"الحداثة السَّائلة" و"الأزمنة السَّائلة" و"الحب السَّائل" و"الخوف السَّائل".. صدرت مترجمة للعربية عن الشَّبكة العربية للأبحاث والنَّشر خلال السنوات الماضية.

(2) "العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة" واحد من مصطلحات المفكر الدكتور عبد الوهاب المسيري (1938 – 2008) وصدر له مؤلف بهذا العنوان عن دار الشروق منذ عام 2002 في جزأين.

(3) ملقى إشكالية المصطلح في علوم الاتصال، الجامعة اللبنانية.. أبريل 2023: alijrido,com/atticles.

– محمود فهمي حجازي، الأسس اللُّغوية لعلم المصطلح، القاهرة، مكتبة غريب، ب ت.

(4) للتوسع: مصطفى النمر، الدراما الأجنبية وانحرافات المراهقين، العربي، 2016 – 1437هـ.

– مؤتمر الدِّراما العربية وقضايا الهُوِيَّة، إعلام الجامعة الحديثة، ديسمبر 2018 – 1439هـ.

(5) المواطن العالمي مفهوم يتردد تحت تأثيرات الاتصال الرقمي الطاغي.. قد يترادف مع تجاوز المكان الدولة أو الزمان الوسيلة.. هو مفهوم غامض حذَّر منه عدد من المفكرين واقترحوا مسمى أهل العالم أو المواطن المهتم بقضايا دولته. هو لا يعني الاهتمام المشترك في مسائل مثل التعاطف السياسي مع المضطهدين أو أزمة المناخ.. بل الخطر في أنه يحاول جعل الناس ذات تفكير وسلوك واحد في الحياة.. ولهذا فقد وصفه البعض بالاستعمار الثقافي والحداثة الحادة والاعتداء على الشَّخصيَّة الذَّاتيَّة والوطنيَّة.. (لن يكون المصري مثل الفرنسي ولا السوداني مثل الروسي..).

(6) قد تترادف مع مفهوم الدَّولة القوميَّة أو الأمة.. هي باختصار تعبير عن الشعب الذي يعيش على الأرض وله نظام اجتماعي سياسي محدد، وبالتالي يحتضنهم عقد اجتماعي مستقل يساوي بين كلِّ مكونات الدَّولة الإنسانيَّة من حقوق وواجبات. في حالتنا نطلق على

مصر أو العراق أو الكويت دولة وطنية، والعالم العربي دولة قوميَّة، والجميع له صفة دولي ووطني وقومي وأممي وعربي.

(7) يراجع: محمد حسين، الوعي اللُّغوي بين قاعات الدرس وأجهزة الإعلام، جمعية لسان العرب، 2000.

– رشاد سالم، اللُّغة العربيَّة والإعلام، الشارقة، مكتبة الجامعة، 2016.

– كمال أحمد غنيم، آليات التَّعريب وصناعة المصطلحات الجديدة. alukoh.net,outhors متاح في مارس 2023.

(8) في عطاءات الوقف الحضارية يراجع: رفعت العوضي، الدور الاقتصادي والاجتماعي للوقف، ندوة التجارب الوقفية، القاهرة، رابطة الجامعات الإسلامية، شوال 1433 هـ – ديسمبر 2012.

إقبال المطوع، قانون الوقف الكويتي، الإدارة العامة للأوقاف، 1421 هـ – 2002.

عبد الوهاب خلَّاف، علم أصول الفقه، القاهرة، الفكر العربي، 1416هـ.

(9) للتوسع في هذا السِّياق: يورغن هابرماس الفيلسوف الكبير (1929 –...) خاصة في كتبه "نظرية الفعل التواصلي" و"التحوُّل الهيكلي في المجال العام" و"الأخلاق والتواصل".

روجيه جارودي، الفيلسوف الشهير (1913 – 2012) في كتابه "حوار الحضارات" المترجم والصادر عن دار الاجتهاد بلبنان في 2002.

هشام جعيط، المفكر التونسي الكبير (1935 – 2021) في كتابه "تأسيس الغرب الإسلامي"، الصادر في تونس عام 2007.